ان معناه يتمحور في نقطة واحدة: الى اي مدى وصل الانتفاض الفلسطيني، وما هي آفاقه؟ ان هذا القلق يشكل استدراكاً ضرورياً، او تصحيحاً على النص الذي يرتجله اليمين الاسرائيلي، على الرغم من ان التسميتين، «اليسار» و«اليمين»، لا تقعان في سياقهما الطبيعي هنا. فما يعنيه اليسار واليمين في حالة هذا التجمّع الاستيطاني حالات خاصة به. وقد تكررت كثيراً اطروحة المستوطن الذي يبحث عن الحل في مواصلة ما بدأه، والمستوطن الذي يودّ ان يقف عند حدّ معيّن. وأشار أكثر من خبير الى خصوصية المصطلح الصهيوني؛ تلك التي تنبع من مقتضيات اغتصاب أرض الآخرين ومحو كل أثر ووجود لهؤلاء، وكأن التاريخ لم يبدأ الاّ من لحظة احتلال المستوطن للأرض.

لنتصفّح اكثر الخلفيات الادبية دلالة. «طوال أكثر من ثلاثة آلاف عام توقّف التاريخ ـ تاريخ فلسطين ـ عن ان يكون شيئاً مذكوراً، لأن ' الشعب' غادر الأرض او نفي منها، وما عاد هناك غير التاريخ الطبيعي طوال هذه العصور...».

هذه الاسطورة هي الاسطورة الأدبية التي عاشها، ويعيشها، الأديب الصهيوني، وهي مرتكزه الأساس. وانطلاقاً من هذا المرتكز، بدأ التاريخ مع الاستيطان الذي نشط طوال قرن كامل. وتُوِّج باقامة «دولة» اختلف على تسميتها حتى استقر الاسم المعروف «اسرائيل». لقد ادخل المستوطن الى التاريخ مجهولاً اسمه «الارض»، واطلق عليه التسمية؛ فكأن النقيض يبدو ملغى: الفلسطيني غير موجود!

وفي ايام الصراع الدامي، ابتكر الصهيوني تسمية «العربي في اسرائيل»، ذلك الذي تعتقد اوساط واسعة من المستوطنين بأنه طارىء، جاء الى فلسطين بفضل بريطانيا؛ بل ان اسم فلسطين، كما يزعمون، تسمية بريطانية!

ما الذي يبقى امام هكذا عقلية ليمنعها من ان تقتل بكل برود، وتعتقد بأنها بذلك لا ترتكب جريمة؟ لا شيء بالطبع. فهم يقتلون اذ يقتلون أوهاماً لا حقائق. وهم، بعد كل شيء، يريدون الأرض والقصيدة والخيال. ولم يصب بالطعنة الاولى قدر ما أصيب هذا الخيال، واصيبت القصيدة. وكان لا بد من ان تسبب هذه الطعنة ارتباكاً في الشارع، والمؤسسة، ومرتكزات التجربة. فقد امتلأت الحياة الاستيطانية بالجثث طوال اكثر من اربعين عاماً؛ وما زال المطلوب اكثر: «لقد كذبوا علينا». كانت هذه العبارة تنتشر في المسرحية والمقالة والتقرير الصحفي والأحاديث الليلية بين المجنّدين وأسرهم. والمعني بذلك ان الاسطورة الصهيونية قد انكشفت عن اكاذيب لم يفدها انها استعارت تعبير ثلاثة آلاف عام؛ والمعني بذلك ان الاستيطان لم يعد نزهة، كما هو في الرواية الصهيونية، وفي القصيدة، وفي الخطاب السياسي.

قد يكون حسناً ان يمتلىء المستوطن بالاسطورة حتى يكون انفجارها مدوّياً؛ وقد يكون من الأفضل ان يتوهّم انه يرافق يوشع، او داود، في غزواتهما حتى تكون رؤية اريئيل شارون ودان شومرون كافية لاحداث شرخ لا علاج له. ولكن لنتذكر دائماً ان سبب الارتباك وتعبير «لقد كذبوا علينا» هو الحقيقة الفلسطينية. فحين قال زئيف شيف «علينا ان نتفاوض مع الفلسطينيين»، وحين رأى سميلانسكي في الانتفاضة ثورة شعب، نستطيع اثارة هذا السؤال: هل كانا سيقولان هذا لولا الحقيقة الصلبة؟ حقيقة شعب قائم يقاتل المستوطنين؟

يقال، الآن، ان نسبة المحتجين على المعالجات الصهيونية، سياسياً وعسكرياً، للقضية الفلسطينية هي نسبة ضئيلة؛ وان الاتجاه نحو اليمين يتزايد. وفي اعتقادنا، ان نسبة المحتجين